# بلاغة الإزاحة فى الرواية السياسية

## عند السيد حافظ

**إعداد**

**مى جمال محمد محمود الشربينى**

**طالبة ماجستير – قسم اللغة العربية – كلية الآداب**

إشراف

**أ.د حسن أحمد البندارى**

**أستاذ البلاغة والنقد الأدبى**
**بقسم اللغة العربية**
**البنات – جامعة عين شمس**

**د. زينب عبد الكريم**

**مدرس البلاغة والنقد الأدبى**
**بقسم اللغة العربية كلية**
**كلية البنات – جامعة عين شمس**

المقدمة :

تعد الرواية من الأنواع الأدبية الحديثة نسبيًا ، حيث تعود جذورها الأولى فى الأدب الأوروبى إلى الملحمة فى القرن التاسع عشر ، كما نجد فى ملحمتى "الإلياذة والأدويسا " لهومير ، بينما تعود نشأتها فى الأدب العربى إلى القرن العشرين مع ظهور رواية " زينب " لمحمد حسنين هيكل عام ١٩١٤م ، التى سيطرت عليها الرؤية الرومانسية ، ولكن نظرًا لأن الرواية تعد من أهم الأجناس الأدبية التى يمكن بها نقل الأفكار والرؤى المختلفة ، كما تهتم بتصوير الواقع المعيش ، وما يشوبه من عواصف ، وتقلبات سياسية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وبخاصة الأحداث ، و القضايا السياسية العديدة التى اهتمت بإبرازها الرواية المعاصرة من حيث تأثيرها على نفسية الناس وحياتهم ، ومن هنا ظهرت العلاقة الوثيقة التى ربطت بين الفن والسياسة ؛ فقد استطاعت الرواية من خلال هذا التلاحم بينها وبين السياسة أن تخلق نوعًا من الرواية يطلق عليه النقاد مصطلح الرواية السياسية ، ذلك النوع من الرواية هو الذى " تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب أو التحكمى ، وهى ذلك النوع من الرواية الذى تنفصل فيه فكرة المجتمع عن مجرد أعمال المجتمع التى لا يُسأل عنها ، والتى وصلتْ إلى لا شعور الشخصيات بكل مظاهرها العميقة المثيرة للمشاكل ، لدرجة أنها تُلاحظ فى تصرفاتهم . وهذه الشخصيات نفسها دائمًا واعية بانتماء أو تماثل أيديولوجى سياسى متناغم ، وهى تفكر على أساس تأييد أو مجابهة المجتمع "(١) ، لذلك اتجه معظم كتاب الرواية فى المرحلة المعاصرة نحو" نقد المجتمع من أجل الإصلاح والنهضة والتقدم من خلال تقديم نماذج إنسانية مأزومة ، تعكس حركة المجتمع وبعض قضايا الواقع "[٢]، وذلك باستخدام العديد من التقنيات السردية الفنية والبلاغية ، ومن أبرز تلك التقنيات فى الرواية العربية تقنية " الحلم " باعتبارها نوعًا من التجديد فى الأدب بشكل عام سواء فى الفن القصصى أم الروائى ، وذلك لارتباطها بالتحولات السياسية والاجتماعية الطارئة على المجتمع ، كما أن الأحلام تعد أحد النوافذ التى يتمرد من خالها الإنسان على الواقع المعيش ، ويتطلع لمستقبل أفضل يريد الوصول إليه ، لذلك يعد من أهم وظائف الحلم البلاغية داخل الرواية المعاصرة هى الإزاحة أى أن الحلم " يمتلك قوة قادرة على إزاحة هموم الواقع الردئ الذى عاشته الشخصية الفنية قبل النوم ، وهذا الواقع يشكل ضغطًا على كاهل الشخصية ، وفى داخلها ، ولذا تجب إزاحته "[٣].

وبالنظر إلى مفهوم الحلم لغويًا نجده معبرًا عن الرؤيا المنامية ، " حلم : الحُلْمُ والحُلُم : الرُّؤْيا ، والجمع أَحْلام ، وحَلَمَ به وحَلَمَ عنه وتَحَلَّم عنه : رأَى له رُؤْيا أَو رآه فى المنام ، والرؤْيا والحُلْمُ عبارة عما يراه النائم فى نومه من الأشياء ، ولكن غَلَبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشئ الحسن ، وغلب الحُلْمُ على ما يراه من الشر والقبيح . " [٤]، ومن هنا يتضح لنا أن الحلم " تعبير عن أى نشاط نفسى روحى فى حالة النوم وله معناه ومدلوله . "[٥]، ويتفق هذا التعريف مع نظرة علماء النفس للحلم ، وتفسيرهم لطبيعته ، حيث يرى سيجموند فرويد أن الأحلام "لون من النشاط النفسى يصدر عن النائم بحسب الظروف التى يكون عليها فى نومه

---

[١]طه وادى (د) ، الرواية السياسية ، دار النشر للجامعات المصرية ، ط١ ، ١٩٩٦م ، ص ٥٠ .
[٢]المرجع السابق ، ص ٧٩ .
[٣] حسن البندارى ( د ) ، تقنية الحلم فى النص القصصى عند نجيب محفوظ ، مكتبة بورصة الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٧م ، ص١٥ .
[٤] ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ ، ص١٤٥ .
[٥] إريش فروم ، الحكايات والأساطير والأحلام ، ت / صلاح حاتم ، دار الحوار ، سوريا ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ص ٢٨ .

"[١]، كما يقول " إن الحلم يتناول بعض الأحداث التى تبقت من نشاطنا اليومى ، فيستخدمها كما يستخدم عامل المطبعة الحروف المتناثرة ليؤلف منها وحدة متكاملة وليس من الضرورى أن يتم هذا التأليف فى أثناء النوم ، بل ليس ما يمنع أن يكون هناك تيار فيما قبل الشعور لا نعنيه فى أثناء اليقظة يجمع تلك الشتات ويداول بينها حتى إذا حانت ساعة النوم بدأ العرض السحرى . "[٢]

أما عن وظائف الحلم فى الرواية فيُعد تكنيكًا يمكن من خلاله الكشف عما يعتمل فى نفوس الشخصيات الروائية من مشاعر سلبية مثل إحساسهم بالقهر ، والألم ، والانكسار ، والتمرد نتيجة تمزق الواقع السياسى والاجتماعى المحيط بهم ، كما ينبأ أيضًا فى بعض الأحيان عن بعض المشاعر الإيجابية من التمسك بالأمل والبحث عن مستقبل أفضل ، لذلك يعده النقاد " وسيلة تنفيسية لإزاحة الواقع المعين للشخصيات الفنية "[٣]، كما يتخذه بعض الأدباء قناعًا يعبرون به عن أفكارهم ، ومواقفهم ، وتصوراتهم حول القضايا المتعلقة بالسياسة ، والسلطة ، والتقاليد الاجتماعية الموروثة ، وذلك لأن الأحلام تعتمد فى لغتها على صيغ فنية إيحائية ، ورمزية يمكن التعبير من خلالها عمّا لا نستطيع التصريح به ، على عكس لغة السرد العادية التى تعد لغة تقريرية مباشرة ، كما نجد أن الأحلام من الناحية الفنية تسهم فى تحويل مجرى السرد الروائى ، وتزيد من عمقه الدلالى .

وبما أن " النوم واليقظة قطبا الوجود الإنسانى "[٤]، لذلك نجد أن السيد حافظ قد عمد إلى استخدام الحلم فى رواياته[٥]، وبخاصة حلم المنام الذى ظهر بشكل واضح فى رواياته بخلاف حلم اليقظة الذى قل ظهوره ، لذلك يمضى هذا البحث فى ظاهرتين :

الظاهرة الأولى : إزاحة الواقع بالحلم المنامى .

الظاهرة الثانية : إزاحة الواقع بحلم اليقظة .

الظاهرة الأولى : إزاحة الواقع بالحلم المنامى:

يتكون الحلم المنامى فى أثناء انتقال الشخصية من وعيها اليقظ إلى منطقة اللّاوعى تلك المنطقة التى تتداعى فيها الأفكار ، والصور المختلفة ، والذكريات فى ذهن الشخصية الحالمة فى أثناء نومها ، كما تتداعى العديد من الأحاسيس ، والمشاعر، و الرموز المختلفة التى يصعب على الحالم تفسير معناها أو المغزى منها فى بعض الأحيان لما تملكه هذه الرموز من دلالات عدة متعلقة بالذات الداخلية ، والخارجية للشخصية الحالمة ، كما أن هذه الرموز تكون فى معظم

---

[١] سيجموند فرويد ، تفسير الأحلام ، تبسيط وتلخيص / نظمى لوقا (د) ، دار الهلال ، ط١ ، ١٩٦٢م ، ص١٣.

[٢] المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

[٣] حسن البندارى (د) ، تقنية الحلم فى النص القصصى عند نجيب محفوظ ، ص ٧ .

[٤] إريش فروم ، الحكايات والأساطير والأحلام ، ص ٣٠ .

[٥] وهم ست روايات : " مسافرون بلا هوية " ؛ وقد صدرت عام ١٩٩٧م ، و " قهوة سادة " ؛ وقد صدرت عام ٢٠١٢م ، و "ليالى دبى ( شاى بالياسمين ) ؛ وقد صدرت عام ٢٠١٤م ، " وليالى دبى ( شاى أخضر) " ؛ وقد صدرت عام ٢٠١٤م ، و " كل من عليها خان " ؛ وقد صدرت عام ٢٠١٥ م ، و " حتى يطمئن قلبى " ؛ وقد صدرت عام ٢٠١٧ م .

الأحيان عبارة عن خيالات ربما يتذكرها الحالم عند الاستيقاظ أو ينساها ، حيث إن الشخصية الحالمة " تحلم أثناء النوم بحادثة أو موقف أو موضوع أو إنسان ما فتشعر الشخصية النائمة بحالات : الإحباط و الحزن والتعاسة والألم ، وبحالات : الأمل والسعادة والفرح . وتظهر علامات هذه الحالات بنوعيها على وجه الشخصية وتبدو فى ملامحها عقب الاستيقاظ من النوم ، وربما تنساها الشخصية بعد لحظات ، وربما تبقى فى ذاكرتها بعض الوقت ، أو تبقى بها الشهور والأعوام . "[١]

وبالنظر إلى وظيفة الحلم المنامى البلاغية داخل العمل الأدبى سواء أكان رواية أم قصة ؛ نجده عبارة عن " مظهر فنى لانحراف مؤقت للسرد الوصفى لمنطقة الوعى إلى منطقة اللاوعى للكشف عما يزخر بها من تداعيات دالة على انبساط باطن الشخصية وانقباضه فى أثناء الحلم "[٢]

وقد وظف الكاتب الحلم المنامى فى رواياته للتعبير عن العديد من القضايا و الأفكار والمضامين السياسية الذى ناقشها داخل رواياته ، التى يتضح من خلالها رغبته فى التخلص من واقع اجتماعى وسياسى أليم عاشته مصر والأمة العربية بشكل عام ، وحالمًا بمستقبل أفضل لوطنه ، لذلك استعان الكاتب بتقنية الحلم لأن الحلم يمتلك " خاصية الإزاحة بمعنى إبعاد واقع ردئ تأباه الشخصية وتود التحرر من سطوته . والتخلص من وطأته "[٣]، فنجد أن الكاتب قد استغل هذه القوة الإزاحية للتعبير عن رغبات الشخصيات الحالمة داخل رواياته ، وبناء على ذلك تتكون هذه الظاهرة من نوعين :

النوع الأول : إزاحة الواقع بحلم خاضع لرغبة فى الاستبدال .
النوع الثانى : إزاحة الواقع بحلم راغب فى تخليص المجتمع من بعض الظواهر الفاسدة .

النوع الأول : إزاحة الواقع بحلم خاضع لرغبة فى الاستبدال :

فقد وظف الكاتب الحلم داخل رواياته بغرض إزاحة واقع سئ يريد التخلص منه واستبداله ، والتطلع لعالم يبغى أن يعيشه ويحقق فيه ما لم يستطع تحقيقه فى الماضى ، كما نجده فى بعض الأحيان يهدف عن طريق الحلم إلى إزاحة زمن آنى واستبداله بزمن ماضى للكشف عن فترة تاريخية كانت أفضل من الواقع المعيش ، لذلك نجد أن الإزاحة عن طريق الاستبدال قد جاءت فى الروايات على مستويين :

المستوى الأول : الإزاحة بحلم خاضع لرغبة فى استبدال واقع بآخر .
المستوى الثانى : الإزاحة بحلم خاضع لرغبة فى استبدال زمن بزمن .

المستوى الأول : الإزاحة بحلم خاضع لرغبة فى استبدال واقع بآخر :

عندما تتداعى كوابيس الواقع على الإنسان نجده يهرب إلى الحلم ، لذلك لجأ الكاتب إلى الحلم المنامى فى رواياته للتعبير عن هروب شخصيات رواياته من واقعهم الردئ ، وبناء واقع جديد

---

[١] حسن البندارى ( د ) ، تقنية الحلم فى النص القصصى عند نجيب محفوظ ، ص١٤ .
[٢] المرجع السابق ، ص٢٠ .
[٣] حسن البندارى ( د) ، تقنية الحلم فى النص القصصى عند نجيب محفوظ ، ص ٢٠ .

فى أحلامهم ؛ فيربط بذلك بين عالمى الشخصية الداخلى والخارجى ، وقد ظهر حلم المنام فى رواية " ليالى دبى (شاى بالياسمين)" عندما استغرق "فتحى رضوان " فى النوم ، وحلم بالرئيس السابق " جمال عبد الناصر " :

" أما الصديق المخرج محمود أبو العباس قابلنى بترحاب ودعانى على عشاء فاخر فى دبى .. دبى مدينة الخيال والهروب من الأحزان وقال:
عيونى فتحى سأجد لك عملا فى قناة عراقية وسأجد لك عملًا فى مركز الطفولة لمسرح الطفل .... وعدنى بايجاد عمل فورًا .. غدًا وأخذ رقمى ثم هرب .. لا يرد على هاتفى .. لايتصل بى .. نمت حزينًا فى الشارقة فى غرفة يسكنها خمسة أفراد من جنسيات عربية مختلفة ... جاءنى جمال عبد الناصر فى المنام ، وجدته حزينًا ، قلت له :
ما بك ؟
قال جمال عبد الناصر : لو أن أحد سألنى فى تلك الأيام ، ما أعز أمانيك ؟ لقلت له على الفور : أن أسمع مصريا يقول كلمة إنصاف فى حق مصرى آخر . وأن أحس أن مصريّا قد فتح قلبه للصفح والغفران والحب لإخوانه المصريين . وأن أرى مصريا لا يكرس وقته لتسفيه آراء مصرى آخر ، وأن لا أرى بعد ذلك أنانية فردية مستحكمة .. كأن كلمة "أنا " على كل لسان .... كانت هى الحل لكل مشكلة ، وهى الدواء لكل داء ، وكثيرا ما كنت أقابل كبراء – أو هكذا تسميهم الصحف – من كل الاتجاهات والألوان ، وكنت أسأل الواحد منهم عن مشكلة ألتمس عنده حلا لها ، فلم أكن أسمع إلا " أنا " .. مشاكل الاقتصاد " هو " وحده يفهمها ، أما الباقون جميعًا فهم فى العلم أطفال يحبون .. ومشاكل السياسة " هو " وحده الخبير ، أما الباقون جميعًا فمازالوا فى " ألف باء " لم يتقدموا بعدها حرفًا واحدًا .... أذكر مرة كنت أزور فيها إحدى الجامعات ودعوت أساتذتها وجلست معهم أحاول أن أسمع منهم خبرة العلماء . وتكلم أمامى منهم كثيرون ... وتكلموا طويلا .. ومن سوء الحظ أن أحد منهم لم يقدم لى أفكارًا ، وإنما كل واحد منهم لم يزد على أن قدم لى نفسه ، وكفاياته الخلقية وحدها تعمل المعجزات ، ورمقنى كل واحد منهم بنظرة الذى يؤثرنى على نفسه بكنوز الأرض وذخائر الخلود .. ! . وأذكر أنى لم أتمالك نفسى فقمت بعدها أقول لهم :
أن كل فرد يستطيع فى مكانه أن يصنع المعجزات ، إن واجبه الأول أن يعطى كل جهده لعلمه ، ولو أنكم كأساتذة جامعات فكرتم فى طلبتكم وجعلتموهم – كما يجب – عملكم الأساسى ، لأستطعتم أن تعطونا قوة هائلة لبناء الوطن .. إن كل واحد من يجب أن يبقى فى مكانه ويبذل فيه كل جهده . "[١]

يصف الكاتب فى النص الروائى المعاناة التى شعر بها فتحى رضوان فى رحلة بحثه عن وظيفة مناسبة له فى دبى ، وكان من أهم اسباب تلك المعاناة هو تخلى صديقه عنه بعد أن وعده بأنه سوف يوفر له عملًا فى إحدى القنوات العراقية ، كما تخلى عنه أيضًا جميع الناس الذى كان يعرفهم هناك مما تسبب له ذلك فى أزمة نفسية ، وشعر بالحزن الشديد والحسرة على أحلامه التى انطفأت على أيدى أصدقائه ، وأدرك حينها أن سبب ذلك التخلى هو أن كلا منهم لا يفكر إلا فى ذاته ، و مصلحته الشخصية فحسب ، فكل هذا الحزن والغضب الذى شعر بهما تجاه الواقع المحيط به خُزن فى ذاكرته أو وعيه الداخلى ، مما جعله يحلم بواقع جديد يريد أن يراه فى الحقيقه ويعيشه ، واقع ملئ بالحب بين الناس بعيدًا عن الأنانية الفردية التى أصبحت آفة منتشرة فى المجتمع المصرى .

---

[١] رواية : ليالى دبى الجزء الأول ( شاى بالياسمين ) ، ص١٥٤ .

وقد جاء هذا الواقع الجديد فى صورة حلم منامى رأى فيه " فتحى رضوان " الرئيس السابق " جمال عبد الناصر " حزينًا ، وعند حديثه معه وجده يتمنى أن يتخلص المصريون من آفة "الأنا" ، وأن يرى الحب والتسامح والغفران ، واحترام الرأى الآخر خصال يتحلى بها المصريون ، فكل هذه السمات لو أصبحت سائدة فى المجتمع سيتمكن المصريون من بناء وطن قوى قادر على مواجهة المصاعب والأزمات التى يمر بهما .

فقد جسد الحلم سمات الواقع الجديد الذى يريده فتحى رضوان ، والتى لو وُجدت فى واقعه المعاش ما اضطُر لأن يترك وطنه وأهله ، ويشعر بكل هذا الحزن الذى واجهه فى غربته ؛ فحلم البطل فى النص السردى ليس إلا صدى لرغبته الشديدة فى إزاحة واقع أليم عانى منه كثيرًا ، وذلك لإحلال واقع آخر جديد خالٍ من جميع الآفات .

وقد ظهر حلم المنام فى الرواية نفسها " ليالى دبى ( شاى بالياسمين ) " عن طريق شخصية " فتحى رضوان " ، وحلمه مرة أخرى بالرئيس السابق " جمال عبد الناصر " ، وقد كان حلمه كالآتى :

" كل ما حولى ألوان من الفساد والحسد والغيرة والضلال .... نزلت إلى الشارع . أخذتها ونزلنا نظرت تهانى فى عينى وجدتها حمراء وكنت أقود السيارة وأقاوم البكاء .. قالت :
ما بك ؟
أنا بدون مصر هشيم ومصر بالنسبة لى هشيم وجحيم .
بكت تهانى لبكائى قالت :
لم أعرف عندما تزوجتك أن بداخلك كل هذا العذاب والألم من أجل مصر؟
وبداخلى أمل أيضًا ...
لماذا تبكين يازوجتى .
أريد أن أساعدك أن أجعلك سعيدًا ..
أحاول كل لحظة أن أقاوم وأشد اللون الأبيض من أعماقى .. أرجوك يا تهانى ساعدينى .. سرنا على كورنيش البحيرة فى الشارقة .. الخليج حزين ؟ ذهبت إلى البيت ونمت .
جاءنى عبد الناصر فى المنام وجلس معى على المقهى وقال لى :
أرواحنا مازالت تعيش فى آثار القرن الثالث عشر ، وإن سارت فى نواحيها المختلفة سلوك القرن التاسع عشر ..
وأكمل عبد الناصر :
كانت عقولنا ، تحاول أن تلحق بقافلة البشرية المتقدمة التى تخلفنا عنها خمسة قرون أو يزيد ، وكان الشوط ماضيًا والسباق مروعًا مخيفًا . وما من شك فى أن هذا الحال هو المسؤول عن عدم وجود رأى عام متحد قوى فى البلاد فإن الفارق بين الفرد والفرد كبير والفارق بين الجيل والجيل شاسع . ولقد جاء على وقت كنت أشكو فيه من أن الناس لا يعرفون ماذا يريدون ، وأن اجتماعهم لا ينعقد على طريق واحد يسيرون فيه ، ثم أدركت بعدها أننى أطلب المستحيل ، وأننى أسقط من حسابى ظروف مجتمعنا إننا نعيش فى مجتمع لم يتبلور بعد ، ومازال يفوز ويتحرك ولم يهدأ حتى الآن أو يتخذ وضعه المستقر ويواصل تطوره التدريجى بعد مع باقى الشعوب التى سبقتنا على الطريق .. وأنا أنظر أحيانًا إلى أسرة مصرية عادية من آلاف الأسر التى تعيش فى العاصمة .

الأب مثلًا فلاح معمم من صميم الريف ، والأم سيدة منحدرة من أصل تركى و أبناء الأسرة فى مدارس على النظام الإنكليزى ، وفتايتها فى مدارس على النظام الفرنسى . كل هذا بين روح الثالث عشر ومظاهر القرن العشرين . أنظر إلى كل هذا وأحس فى أعماقى بفهم للحيرة التى نقاسيها والتخبط الذى يفترسنا ، ثم أقول لنفسى :

سوف يتبلور هذا المجتمع ، وسوف يتماسك ، وسوف يكون وحدة قوية متجانسة ، إنما ينبغى أن نشد أعصابنا ونتحمل فترة الانتقال . تلك إذا هى الأصول التى انحدرت منها أحوالنا اليوم ..... ( اختفى جمال عبد الناصر ) "[١]

أعرب هذا الحلم المنامى عن رغبة " فتحى رضوان " فى إزاحة واقع يعانى منه المصريون نظرًا لما يشوبه من تفرقة وتشتت بين أفراده ، واستبداله بواقع جديد يتميز بالتماسك والوحدة والتجانس بين أفراده ، وقد ظهر ذلك فى الحلم من خلال تنبؤ الرئيس " جمال عبد الناصر " بأن المجتمع المصرى سوف ينهض ، ويتبلور ويستقر عن طريق جمع الشعب المصرى ووضعه على طريق واحد صحيح ، فالمجتمع لا ينهض إلا بأيادى أفراده ، كما أظهر الحلم أن الحرية السياسية والاقتصادية إحدى السبل لتحقيق هذا الواقع المتماسك الذى يحلم به فتحى رضوان وغيره من المصريين .

وقد نجد أن الكاتب ارتد فى الحلم إلى الماضى – القرن التاسع عشر – ليُظهر أن حلم تطور المجتمع وتماسكه راود عقول المصريين منذ فترة زمنية ليست بالقصيرة ، وعلى الرغم من أن تحقيق ذلك الحلم بشكل كلى قد تأخر كثيرًا ، فإنَّ الأمل فى تحقيقه مازال قائمًا، وقد ظهر ذلك فى الحوار الذى دار بين فتحى رضوان وزوجته تهانى فى نفس الليلة التى رأى فيها فتحى رضوان ذلك الحلم :

" لم أعرف عندما تزوجتك أن بداخلك كل هذا العذاب والألم من أجل مصر؟
وبداخلى أمل أيضًا ... أحاول كل لحظة أن أقاوم وأشد اللون الأبيض من أعماقى .. "[٢]

فقد أظهر الحوار الذى دار بينهما أن الحزن الشديد الذى يسكن قلب فتحى رضوان على حال وطنه كان ممزوجًا بالأمل بأن وطنه سيسير على الطريق الصحيح ، وأن شعبه سوف يلحق بالبشرية المتقدمة ، مما جعل ذلك الأمل يُخزن فى اللّاوعى ، ويظهر فى صورة حلم منامى ليفصح عن رغبته فى تحقق آماله وأحلامه .

وقد تكرر حلم البطل " فتحى رضوان " بالرئيس " جمال عبد الناصر " فى الرواية نفسها "ليالى دبى ( شاى بالياسمين ) " ، ويتضح ذلك من خلال السرد الروائى التالى :

" قال لى عبد الناصر فى المنام :
ولقد وقفت أمام الكعبة وأحسست بخواطرى تطوف بكل ناحية من العالم وصل إليها الإسلام ثم وجدتنى أقول لنفسى : يجب أن تتغير نظرتنا إلى الحج ، لا يجب أن يصبح محاولة الذهاب إلى الكعبة تذكرة لدخول الجنة بعد عمر مديد أو محاولة ساذجة لشراء الغفران بعد حياة حافلة . يجب أن يكون الحجيج قوة سياسية ضخمة ، ويجب أن تهرع صحافة العالم إلى متابعة أنبائه ، لا بوصفه مراسم وتقاليد تصنع صورة طريفة لقراء الصحف وإنما بوصفه مؤتمراً سياسياً دورياً يجتمع فيه كل قادة الدول الإسلامية ورجال الرأى فيها وعلماؤها فى كافة أنحاء المعرفة وكتابها وملوك الصناعة فيها وتجارها وشبابها ليضعوا فى هذا البرلمان الإسلامى العالمى خطوطاً عريضة لسياسة بلادهم وتعاونها معه ، حين يحين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام . يجتمعون خاشعين .. لكن أقوياء ، متجردين من المطامع .... الكل عاملين ، مستضعفين لله ..

---

[١] رواية : ليالى دبى الجزء الأول ( شاى بالياسمين ) ، ص ٢٢٢ .
[٢] رواية : ليالى دبى الجزء الأول ( شاى بالياسمين ) ، ص ٢٢٢ .

ولكن أشداء على مشاكلهم وأعدائهم ، حالمين بحياة أخرى ... ولكن مؤمنين أن لهم مكانا تحت الشمس يتعين عليهم احتلاله فى هذه الحياة .

وأذكر أنى قلت بعض خواطرى هذه لجلالة الملك سعود فقال لى الملك أن هذه هى فعلاً ، الحكمة الحقيقية من الحج .

وفى الحق أنى لا أستطيع أن أتصور للحج حكمة أخرى . حين أسرح بخيالى إلى ثمانين مليون من المسلمين فى إندونسيا وخمسين مليون فى الصين ، وبضعة ملايين فى الملاوى وسيام وبورما ، ومايقرب من مائة مليون فى الباكستان وأكثر من مائة مليون فى منطقة الشرق الأوسط ، وأربعين مليون داخل الاتحاد السوفيتى ، وملايين غيرهم فى أرجاء الأرض المتباعدة حين أسرح بخيالى إلى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة ، أخرج بإحساسى الكبير بالإمكانيات الهائلة التى يمكن أن يحققها التعاون بين هؤلاء المسلمين ، تعاون لا يخرج عن حدود ولائهم لأوطانهم الأصلية بالطبع ، ولكنه يكفل لهم ولإخوانهم فى العقيدة قوة غير محدودة .سكت عبد الناصر وقام واختفى .. استيقظت من النوم .. وشربت شربة ماء "[١]

أعرب الحلم المنامى عن رغبة فتحى رضوان فى إزاحة واقع التفكك والفرقة بين الأمة العربية ، واستبداله بواقع يتسم بالاتحاد والتعاون السياسى والتجارى فيما بينهم ، ذلك الاتحاد الذى يجعلهم قوة عظيمة على الأرض يهابها الجميع ويخشاها، حيث إن تلك القوة تجعلهم قادرين على هزيمة أعدائهم ، والتخلص من كافة المشاكل التى تعانى منها بلادهم أهمها تحكم دول الغرب فى سياستهم واقتصادهم .

وقد ظهرت تلك الرغبة فى إزاحة هذا الواقع الأليم الذى تعانى منه كافة الدول العربية من خلال حلم فتحى رضوان بالرئيس جمال عبد الناصر ، والذى أفصح فيه عن فكرته ورغبته فى أن يكون للحج أهدافٌ عديدة سياسية وتجارية ، وألّا يقتصر على الهدف الدينى فحسب ، بل من الممكن استغلال ذلك الحدث الذى يتكرر كل عام بأن يكون بمثابة اجتماعٍ سياسيٍ لكافة قيادات العرب من رؤساء وعلماء وأدباء وشباب وغيرهم ؛ لوضع خطة سياسية موحدة يستطيعون بها التغلب على المشاكل التى تواجههم ، وبناء الوطن العربى بشكل صحيح وقوى ، لأن العرب باتحادهم يستطيعون تحقيق ذلك وأكثر ؛ فنجد أن الحلم هنا جاء معبرًا عن أمنية فتحى رضوان فى أن يجتمع العرب على خطة سياسية موحدة تسير علي أسسها ومبادئها كافة الدول العربية ، كما اجتمعوا على دين واحد وعبادة رب واحد ، كما جاء عاكسًا لصورة الواقع الجديد الذى تتمناه الشخصية الحالمة .

المستوى الثانى : الإزاحة بحلم خاضع لرغبة فى استبدال زمن بآخر :

يهدف الحلم المنامى هنا إلى الإزاحة أيضًا ، ولكن رغبة الكاتب فى توظيف الأحلام هنا تختلف عن رغبته فى توظيف الأحلام السابقة ، حيث يرغب فى هذه الحالة فى إزاحة زمن آنى وإحلال زمن ماض بدلا منه كان واقعه السياسى أفضل بكثير من الواقع السياسى الذى تعيشه الشخصيات الروائية ؛ فكانت الأحلام هنا بمثابة هروب تلك الشخصيات من الزمن الحالى ، وتمنى الرجوع إلى زمن ماض مغاير له أو مختلف عنه من الناحية السياسية ، وقد انتمى إلى ذلك الهدف من الأحلام المنامية ما حدث فى رواية " ليالى دبى (شاى بالياسمين ) " عندما شاهد فتحى رضوان فى منامه الملك فؤاد :

---

[١] رواية : ليالى دبى الجزء الأول ( شاى بالياسمين ) ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

" النور فى روح شعبنا اختفى وأنا الخفى الرائى .. لا تجعلونى أمضى وحيدًا إلى بلاد أخرى فيها الإنسان معنى وقيمة وليس رقمًا وضبابًا .. ماذا سيقول أحفادنا القادمون عن شعب فقد إنسانيته وكرامته ببطء حتى صار بلا .. بلا .. بلا .. شاهدت الملك فؤاد فى منامى يسير فى شوارع القاهرة وهو يرى الزبالة أكوامًا أكوامًا فبكى كيف تكون القاهرة هكذا وقد حصلت عام ١٩٣٣ فى عهده بوسام أفضل عاصمة نظيفة فى العالم ..؟ أجلسته على مقهى فى التحرير وطلبت له الشاى فرفض ، ومشى فى الزحام واختفى "[١]

يظهر من خلال النص الروائى حالة الإحباط التى شعر بها فتحى رضوان عند محاولته البحث عن قيمة له داخل وطنه ، لكنه يكتشف أن لا قيمة للإنسان فى بلده ، وأن الشعب أصبح فاقدًا لكافة معانى الإنسانية ، فهو يشعر بالحزن لتردى الوضع فى بلده إلى درجة جعلته يخشى على أحفاده اللذين لم يأتوا بعد من هذا الضياع الذى يشعر به الشعب المصرى .

كل هذه المشاعر السلبية التى تؤرقه من الداخل جعلته يرتد فى أثناء نومه – عن طريق الحلم – إلى فترة زمنية ماضية ألا وهى فترة حكم الملك فؤاد لمصر ، وقد ظهر الملك فؤاد فى الحلم حزينًا أيضًا ومتحسرًا على القاهرة وشوارعها التى أصبحت ممتلئة بالقمامة بعد أن كانت فى عهده أفضل عاصمة نظيفة فى العالم كله .

فقد أعرب الحلم المنامى الذى استعان به الكاتب فى النص الروائى عن رغبة البطل فى إزاحة الحاضر بكل مساوئه ، والارتداد إلى زمن ماض أفضل منه ، خال من كافة العيوب الذى يعانى منها الحاضر ، وقد أظهر الحلم أن الشعب فى تلك الفترة الماضية كان يمتلك الضمير والإنسانية الذى يفتقدهما فتحى رضوان فى زمنه الحالى الذى يعيش فيه ، والذى انعكس بالطبع على الاهتمام بالوطن ، ونظافته حرصًا على صحة المواطنين ، فكان الحلم هنا بمثابة تمنى فتحى رضوان أن تعود بلده مثل سابق عهدها بلدًا جميلة ، ونظيفة يستطيع أن يفتخر بها أمام أحفاده فى المستقبل .

وقد استعان الكاتب بالحلم المنامى مرة أخرى فى الرواية نفسها "ليالى دبى (شاى بالياسمين )" ، وذلك عن طريق تردد الرئيس الراحل " جمال عبد الناصر " مرة أخرى على بطل الرواية " فتحى رضوان " فى منامه :

" قال لى عبد الناصر فى المنام حين سألته :
ماذا فعلت بعد قيام الثورة فى عام ١٩٥٢ بأيام ؟
هل كان يمكن ألا نغضبهم ونترك تربة وطننا فريسة لشهواتهم وفسادهم وصراعهم على مغانم الحكم ؟.. وفينا من يملك عشرات الألوف من الأفدنة ، وفينا من لايملك قطعة يدفن فيها بعد أن يموت .
وأنا أدرك أغضبنا الساسة القدماء ! ولكن هل يمكن أن نغضبهم ونترك وطننا فريسة لشهواتهم وفسادهم وصراعهم على مغانم الحكم ؟ وأنا أدرك أننا أغضبنا عددا كبيرا من الموظفين . ولكن هل يمكن أن نعطى أكثر من نصف ميزانية الدولة مرتبات للموظفين ولا نستطيع كما صنعنا بالفعل أن نخصص أربعين مليونًا من الجنيهات للمشروعات الإنتاجية ؟ .. ماذا علينا لو كنا فتحنا – كما فعل غيرنا –خزائن الدولة ووزعنا ما فيها على الموظفين وليكن

---

[١] رواية : ليالى دبى الجزء الأول ( شاى بالياسمين ) ، ص ٢١٩ .

بعد ذلك الطوفان ، وليكن – أيضًا – أن يجئ العام القادم فلا تستطيع الحكومة أن تدفع مرتبات موظفيها أصلًا وأساسًا . وما كان أسهل أن نرضى هؤلاء جميعًا وغيرهم ، ولكن ما الثمن الذى كان وطننا سيدفعه من آماله ومستقبله فى مقابل هذا الرضى .

ذلك دورنا الذى حدده لنا تاريخ وطننا ، ولا مفر أمامنا من أن نقوم به ، مهما كان الثمن الذى قد ندفعه . ولم نخطئ أبداً فى فهم هذا الدور ، ولا فى إدراك طبيعة الواجبات التى تلقيها علينا تلك خطوات لإصلاح آثار الماضى ورواسبه مضينا فيها وتحملنا من أجلها كل شئ ، فلما جاء الكلام عن المستقبل قلنا أننا لا نملك هذا وحدنا ؛ فمن أجل ضمان الحياة السياسية فى المستقبل ذهبنا إلى عدد من قادة الرأى من مختلف الطبقات والعقائد وقلنا لهم . ضعوا للبلد دستورًا يصون مقدساته . وكانت لجنة وضع الدستور . ومن أجل ضمان الحياة الاقتصادية فى المستقبل ذهبنا إلى أكبر الأساتذة فى مختلف نواحى الخبرة وقلنا لهم :

نظموا للبلد رخاءه واضمنوا لقمة العيش لكل فرد فيه . وكان مجلس الإنتاج تلك حدودنا لم نتعداها ، إزالة الصخور والعقبات من الطريق ، مهما يكون الثمن . والعمل للمستقبل من كل نواحيه مفتوح لكل ذوى الرأى والخبرة ، فرض لازم عليهم وليس لنا أن نستأثر به دونهم ، بل أن مهمتنا تقتضى أن نسعى لجمعهم من أجل مستقبل مصر ... مصر القوية المتحررة . "[١]

فقد نجد أن الكاتب يرتد فى الحلم إلى زمن سابق عن الزمن الذى تدور فيه أحداث روايته آلا وهو عام ١٩٥٢ ذلك العام الذى قام فيه ضباط الجيش المصرى بثورة ٢٣ يوليو ضد الحكم الملكى بكل مساؤئه من إقطاع ، واستعمار وسيطرة رأس المال على الحكم ، وقد وجد هؤلاء الضباط أن السبيل الوحيد للقضاء على كل هذا هو السيطرة على الحكم لإقامة حياة ديمقراطية سليمة ، وعدالة اجتماعية ، وبناء جيش وطنى قوى.

ويدل ذلك الحلم على رغبة فتحى رضوان فى إزاحة الزمن الذى يعيش فيه والقضاء على كل مساؤئه ، والعودة إلى زمن ماض كانت مصلحة الوطن ومستقبله تعلو كل المصالح الشخصية للحكام والمسؤلين ، وقد اتضح ذلك من خلال ما قاله الرئيس جمال عبد الناصر لبطل الرواية فتحى رضوان فى نهاية حلمه ، حيث قال " إن مهمتنا أن نسعى لجمعهم من أجل مستقبل مصر .. مصر القوية المتحررة"[٢] فقد أعربت تلك الجملة عن الهدف السامى الذى كان يسعى إليه ضباط الجيش المصرى ، والذى من أجله قامت ثورة ٢٣ يوليو ، كما أعرب الحلم أيضًا عن المشاعر الذاتية لفتحى رضوان حيث يتمنى أن يجد من حوله أشخاصًا مثل هؤلاء الضباط يخافون على مستقبل مصر ويحرصون على رفعة الوطن وتقدمه باذلين أقصى جهودهم من أجل ذلك .

ويستمر الكاتب فى توظيف الحلم المنامى داخل رواياته ، فنجده فى روايته " كل من عليها خان " البطل – فتحى رضوان - يحلم بواحد من أشهر علماء العرب وهو المؤرخ الجغرافى "المسعودى " ، على نحو ما نرى فى النص التالى :

" جاءنى فى المنام المسعودى قال لى يا بن رضوان ..
( يفتح كتابا ) يقول المسعودى :
" لما خلق الله آدم عليه السلام ، مثّل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبالها وأنهارها وبحارها وبناءها وخرابها ، ومن يسكنها من الأمم ... ومن يملكها من الملوك ، فلمّا رأى آدم عليه السلام مصر أرضًا سهلة ذات نهرِ جارِ مادته من الجنة ، تنحدر فيه البركة ، ورأى جبلًا

---

[١] رواية : ليالى دبى الجزء الأول ( شاى بالياسمين ) ، ص ٢٢٨ .
[٢] رواية : ليالى دبى الجزء الأول ( شاى بالياسمين ) ،ص ٢٢٨ .

من جبالها مكسُوّا نورًا لا يخلو من نظرة الرب إليه بالرحمة .. فى سفحه أشجار مثمرة وفروعها فى الجنة تُسقى بماء الرحمة ؛ فدعا آدم عليه السلام للنيل بالبركة ، ودعا فى أرض مصر بالرحمة والبر والتقوى ، وبارك فى جبلها سبع مرات وقال :
" مصر فيك الخفايا والكنوز .. ولك البر والثروة ... وسال نهرك عسلا .. كثر الله زرعك وذكى نباتك .. ولا يزال فيك خير مالم تتجبّرى وتتكبّرى أو تخونى . " .. اختفى المسعودى "[١]

يشير الحلم إلى رغبة " فتحى رضوان " فى التخلص من الزمن الذى يعيش فيه وإزاحته بكافة عيوبه ومساوءه ، والعودة إلى بداية خلق سيدنا آدم ، ونزوله على أرض مصر التى وجدها أرضًا جميلة مليئة بالخيرات التى لا تعد ولا تحصى أرضًا نقية غير ملوثة ، وكأن البطل بذلك الحلم يتمنى أن تعود مصر مثلما كانت فى سابق عهدها كما وصفها المسعودى له فى الحلم أرضًا مليئة بالنور والرحمة قبل أن يتفشّى فيها الظلم وقلة الضمير الإنسانى والغش وغيرها من الآفات العديدة ، كما يتمنى أن يكون موجودًا فى ذلك الوقت على أرض مصر لعله يستطيع حينها إنقاذ مصر قبل أن يحل بها كل هذا الخراب .

كما أظهر الحلم المنامى أن كل ما يعانى منه المصريون من آفات وأمراض ، وترد فى الحالة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من المساوئ العديدة ، إنما هو لغياب ضمير بعض المصريين وليس العيب فى أرض مصر؛ فالمصريون هم من أفسدوا تلك الأرض الطاهرة النقية ، وبددوا خيراتها ، ودمروا كل ما هو جميل عليها ؛ فالحلم هنا وضع القارئ أمام حقيقة لا يستطيع إنكارها أو التملص منها ، وهى أن العيب ليس فى الأرض بل فى أهلها الذين يسكنونها ولا يستطيعون الحفاظ عليها .

النوع الثانى : إزاحة الواقع بحلم راغب فى تخليص المجتمع من بعض الظواهر الفاسدة :

وقد نجد أن الكاتب يستعين بالحلم المنامى فى رواياته بغرض تحقيق شكل آخر من أشكال الإزاحة ، وهو إزاحة بعض الظواهر الفاسدة الموجودة فى المجتمع ، التى تضر بالبناء الاجتماعى وسلامته ، وذلك من أجل تحقيق صفاء المجتمع ونقائه ، على نحو ما نرى فى النص التالى من روايته " ليالى دبى ( شاى بالياسمين ) " :

" قال جمال عبد الناصر لى فى المنام :
نحن نحتاج إلى ثورة تفرض علينا أن نعيد الهيبة الضائعة لقيم الأخلاق ولا ننسى الماضى .. وفى تلك الأيام قدت مظاهرات فى مدرسة النهضة ، وصرخت من أعماقى بطلب الاستقلال التام ، وصرخ ورائى كثيرون .. ولكن صراخنا ضاع هباءً بددته الرياح أصداء واهنةً لا تحرك الجبال ولا تحطم الصخور .
قلت لجمال عبد الناصر :
أنا مثلك سرت فى مظاهرات فى مدرسة النهضة وقدت مظاهرات فى مدرسة الإسكندرية وكل المظاهرات ضاعت آثارها هباء ... "[٢]
فنجد أن الحلم الذى رآه فتحى رضوان صدى لرغبته فى القيام بثورة حقيقية تقضى على جميع الظواهر الفاسدة المحيطة به فى المجتمع ، وتنقيه من جميع الآفات الموجوده به ، لكنه

---

[١] رواية : كل من عليها خان ، ص ٢٩ .
[٢] رواية : ليالى دبى الجزء الأول ( شاى بالياسمين ) ، ص ١٤٣ .

يعجز عن القيام بذلك فى الواقع ، مما دفعه إلى تخزين تلك الرغبة فى اللاوعى ، وخروجها فى صورة حلم منامى يفصح من خلاله عما يريد أن يفعله من حلول لإصلاح ذلك المجتمع .

وبالنظر فى النص الروائى نجد أن العجز الذى يشعر به فتحى رضوان فى الوقت الراهن قد جاء نتيجة خوضه لتلك التجربة فى الماضى أكثر من مرة ، فقد شارك فى مظاهرات مدرسة النهضة التى طالبت بحل دستور ١٩٣٠ الذى قضى على الحياة الديمقراطية فى مصر ، وعودة العمل بدستور ١٩٢٣ ، وغيرها من المظاهرات العديدة التى طالبت بالتغيير ، ولكن كانت كل محاولاته غير مجدية وباءت بالفشل ، لكنه رغم ذلك مازال يأمل فى النهوض بالمجتمع وإصلاحه ، ويتمنى داخل نفسه أن يعيد التجربة من جديد لعله ينجح فى تحقيق ما لم يستطع تحقيقه بالأمس .

وهكذا نجد أن الكاتب قد استخدم المستوى المباشر فى تقديمه للحلم المنامى ، ولم يلجأ إلى التداعى الحر بل نجده يصرح بالحلم ، ويفهم دون عناء أنه حلم من خلال شخصيات رواياته أى أن " الشخصية داخل القصة تصرح بحلمها نحو قوله (حلمت – رأيت ) ولا يعتمد على التداعى الحر ، بل تقوم الشخصية القصصية بسرد هذا الحلم سردًا مباشرًا فى نسيج القصة ، فتقل فيه جرعة التناثر وسرعة النقلات وشدة التكثيف ، لحساب سلسلة الأحداث وتنسيق الحوار والتفكير العادى "[١]، كما أن اللغة التى استعان بها الكاتب فى سرده للأحلام جاءت بسيطة ، وتلقائية خالية من الغموض ، والرموز المعقدة ، لكنها تحمل فى طياتها دلالات عدة ، كما استطاع الكاتب أن يمزج فى الحلم المنامى بين صور الماضى ، والأمل فى المستقبل الذى تطل من خلاله الشخصية الروائية على عالم تبغى أن تعيشه لذلك "يعتمد الحلم عند الكاتب على التذكر أو استحضار الأحداث وأحيانًا يعتمد على الاستباق أى يجسد اللحظة المستقبلية المرجوة فى زمن الحضور"[٢]

وبالنظر إلى النصوص الروائية السابقة نجد أن الأحلام المنامية قد غلب عليها الطابع السياسى التاريخى ، حيث إن الزعماء و القادة السياسيين ، والشخصيات التاريخية كانوا دائمًا يطاردون بطل الروايات " فتحى رضوان " فى المنام أمثال جمال عبد الناصر ، والملك فؤاد والمؤرخ المسعودى ، ويقصون أحداثًا تاريخية مروا بها فى زمن ماضٍ يسبق الزمن الذى تدور فيه أحداث الرواية ، وبذلك نجد أن الكاتب قد نجح فى "الربط بين الحلم والتوظيف التاريخى واختلال دائرة الزمن معتمدًا على الاستحضار ، واستدعاء الشخصيات من الماضى ، وربطها بالعناصر التاريخية فى الواقع المعاش "[٣]، كما نجد أن الأحلام قد جاءت مساهمة فى بناء الروايات ، وكاشفة عن الملامح الداخلية للشخصيات ، وعجزهم عن التأقلم مع ذلك الواقع المتأزم لذلك يهربون إلى الحلم .

الظاهرة الثانية : إزاحة الواقع بحلم اليقظة :

يقصد بحلم اليقظة لجوء الشخصية إلى خيالها لتحقيق إشباع من آمال وأهداف لا تستطيع تحقيقها فى الواقع ، وذلك عن طريق صنع الشخصية الحالمة عالم افتراضى لنفسها فى عقلها الباطن لا فى الواقع ، لتستطيع من خلاله تخفيف القلق والتوتر ، والإحباط الناتجين عن الفشل فى تحقيق دوافعها وطموحاتها ، وذلك التخفيف يتم عن طريق التخييل حيث " تتوارد على

---

[١] مراد عبد الرحمن مبروك ( د) ، الظواهر الفنية فى القصة القصيرة المعاصرة فى مصر ١٩٦٧-١٩٨٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، ١٩٨٩م ، ص٢٦١،٢٦٠.

[٢] المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

[٣] المرجع السابق ، ص٢٧٤ .

الشخصية المفتوحة العينين ، أو المغمضة العينين ( دون نوم ) – صور متنوعة ، ذات أماكن مختلفة ، وأصوات بشرية أو غيرها ، يكون محورها " التمنى " بحصول ما يتوافق أو يختلف معها "[١]، و فى حلم اليقظة نجد أن الشخصية الحالمة تكون على وعى كافى يجعلها قادرة على التحكم بالأحداث داخل الحلم ، لذلك يطلق عليه بعض النقاد "حلم الوعى " حيث يكون شكل هذا الحلم داخل العمل الأدبى " ليس حلمًا مباشرًا يُحكى على لسان شخصية القصة ، بل تتداعى الصور والخواطر والأفكار والذكريات من خلال استخدام المونولوج الداخلى المباشر وغير المباشر ، والقطع ، والاستمرار ، والاختفاء التدريجى ، ويتم الحلم دون تدخل الراوى "[٢]، ويشير آخر إلى تقديم حلم الوعى أو اليقظة بطريقة المونولوج الداخلى ، فنجده يقول أن " محاولة استخدام المونولوج الداخلى المباشر فى تصوير حلم الوعى أو الوعى كما يتمناه الإنسان فهى طريقة غير عادية تماما من طرق استخدامه"[٣].

وتدل أحلام اليقظة فى روايات الكاتب على رغبة الحالم فى إزاحة واقعه الردئ الذى فرض عليه ، وتمنى تغييره وإصلاحه بصورة شاملة سواء أكان هذا الإصلاح على المستوى الشخصى أم المستوى السياسى ، وهو ما ظهر فى رواية " مسافرون بلا هوية " ، حينما سرح كلا من "إبراهيم عمار " و زوجته " منى " بذهنهما متخيلين شكل مستقبلهما ، وهما يعيشان واقع أفضل من الواقع السئ الذى يعيشونه الآن :

" لقد نشرت فى جريدة اللنيش والاحصاء ومصفاة الحكمة – وبحر الأنهار وكل هذا يساوى ٣٠٠ دينار وسأحصل عليهم و أدبر شقة لى ولك ونعيش فى سعادة بعض الوقت ونسافر إلى أى دولة فى أوربا ربما ليبيا إذا كنا سنعيش فى بلد عربى أو فرنسا إذا كانت بلدًا أوربيّا . أو العراق . أو أى بلد يعطينا هوية .
ضحكت . وسندور حول العالم
نعم
ونشاهد أوبرا عايدة فى إيطاليا وفرنسا وندور
ونغنى
ونرقص
وننجب الأطفال
ونحضر الربيع
ومصر
ارجوك
وقفت قدمى
هل ستعود لها
أنا .. هل مصر تعرفنى يامنى .. أنا برئ من جيلى لكنى لا أبرأ من مصر
صفقت لى الدنيا بأحلام اليقظة . لم أعد أحلم وأنا نائم . "[٤]

---

[١] حسن البندارى ( د ) ، تقنية الحلم فى النص القصصى عند نجيب محفوظ ، ص٧٦ .
[٢] مراد عبد الرحمن مبروك ( د ) ، الظواهر الفنية فى القصة القصيرة المعاصرة فى مصر ١٩٦٧ – ١٩٨٤ ، ص ٢٨٦ .
[٣] روبرت همفرى ، تيار الوعى فى الرواية الحديثة ، ت/ د. محمود الربيعى ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ٦٤ .
[٤] رواية : مسافرون بلا هوية ، ص ٢٧ .

نجد " إبراهيم عمار " فى هذا النص قد شرد بذهنه هو وزوجته " منى " متخيلين مستقبلهما معًا وآمالهم ، وأحلامهم البسيطة التى تتلخص فى العيش معًا فى سعادة ، وإنجاب الأطفال ، كما نجد أن إبراهيم عمار قد رأى أن السبيل الوحيد لتحقيق تلك السعادة له ولزوجته هو تركهم وطنهم ، والهجرة معًا إلى أى دولة أوربية أو عربية يستطيعون فيها تحقيق ما فشلوا فى تحقيقه داخل وطنهم نتيجة سوء الواقع الاجتماعى ، والاقتصادى التى تمر به مصر ، وعلى الرغم من معوقات الهجرة من حيث توفير مبلغ كاف يمكنهم من السفر مما جعله ينشر العديد من المقالات له فى جرائد مختلفة ، ومن حيث تركهم لأهلهم ووطنهم وانتظارهم لمجهول لا يعرفونه ، فإنهما يحلمان بالهجرة باعتبارها ضرورة حتمية لهما لإزاحة الواقع الردئ المحيط بهم ، واستبداله بواقع أفضل لهما و لأطفالهم اللذين ينتظرونهما فى المستقبل .

وعلى الرغم من أن أغلب الأدباء يقدمون حلم اليقظة فى صورة المونولوج الداخلى للشخصية الحالمة فإن الكاتب فى هذا النص لم يلجأ إلى هذه التقنية فى تقديمه للحلم ، بل استعان بالديالوج أو الحوار الخارجى ، وقد ظهر ذلك من خلال الحوار الذى دار بين إبراهيم عمار وزوجته منى حول شكل مستقبلهما معًا ، وقد استخدم الكاتب الديالوج فى النص الروائى ليوضح أن الزوجين يشتركان فى الحلم ذاته ، وهذا الاشتراك دلالة على وجود أزمة اجتماعية حقيقية ، وملموسة نتيجة الوضع السياسى والاقتصادى السئ المحيط بهم ، مما جعلهم يتمنون الهروب عن طريق الهجرة لتحقيق أحلامهم .

ويتفق مع هذا الحلم ، ما تخيله " سامى " الشاب السورى فى رواية " قهوة سادة" حينما سرح بذهنه فى أثناء جلوسه على المقهى :

" سامى .. أخو " سهر " جلس على المقهى التى تطل على الجبل .. يشرب الشاى والشيشه .. يحلم بأن يذهب إلى أمريكا ويرتدى قبعة .. ويركب سيارة أمريكى ويتزوج من حسناء أمريكية .. كان يحلم بالكثير.. وأن يتحدث باللغة الانجليزية بطلاقة . "[١]

يحلم سامى الشاب الذى لايريد العمل داخل وطنه بالطيران إلى أمريكا مثل أغلب الشباب فى الوطن العربى اللذين يراودهم حلم الذهاب إلى أمريكا سعيًا لكسب المال ، وتوفير حياة اجتماعية جيدة ، ورفاهية عالية ، إضافة إلى الحصول على متعة الانتماء إلى الحضارة المنتصرة من وجهة نظرهم ، والحياة تحت ظل ديمقراطية يفتقدونها فى أوطانهم ، لذلك نجد سامى – أحد شخوص الرواية – يرفض أى فرصة عمل تقدم له داخل وطنه من قبل الأهل أو الأصدقاء ، ويضع حلم الهجرة إلى أمريكا نصب عينيه إلى أن يستطع تحقيقه يومًا ما ، ونجد أن تشبثه بحلمه رغم صعوبة تحقيقه دلالة على صعوبة الأحوال الاقتصادية فى وطنه ، وخيبات الأمل الكثيرة التى شعر بها ؛ فعلى الرغم من أنه يجد العديد من فرص العمل فى وطنه ، فإنها لا يتناسب مع طموحاته التى يريد أن يحققها فى حياته ، لذلك يريد إزاحه الواقع الأليم الذى يعيشه عن طريق الهروب والهجرة بحثًا عن فرصة حياة أفضل ؛ فنجد أن الحلم هنا قد جاء بمثابة نجاة لسامى من الواقع ، وإزاحته بكافة عيوبه ، ومعبرًا عن تعلقه بأهداب الأمل أو خيوطه ، وذلك عن طريق تخيله لشكل حياته ، والصورة التى سيصبح عليها بعدما يستطيع تحقيق ذلك الحلم .

ينتمى إلى أحلام اليقظة نص سردى آخر ورد فى رواية " ليالى دبى ( شاى بالياسمين ) " عندما تخيل " فتحى رضوان " أنه من الممكن أن يكون كاتبًا مؤثرًا بشكل إيجابي فى قراءة :

---

[١] رواية : قهوة سادة ، ص ١٩٣ .

" أنا فتحى ضوان كاتب بسيط أريد أن أرسخ فى ذهن هذا الشعب الأخلاق التى فقدها منذ أن قتل إخناتون .. إن الله يعلم أن شعب مصر والعرب غير أسوياء ... لذلك أرسل لهم الكثير من الأنبياء ، والعلماء ، والنبهاء وكل واحد إما قُتل أو طُرد أو هاجر أو رحل "[١]

قد ظهر من خلال الحلم أن فتحى رضوان رغم بساطته ، وبساطة كتاباته إلا أنه يسعى باستخدام قلمه إلى إزاحه الواقع الفاسد المحيط به ، والذى يفتقد فيه الناس الأخلاق ، و إحلال واقع آخر بدلا منه تسوده القيم والأخلاق النبيلة .

ونلحظ من خلال النص الروائى أن الحلم هنا قد عكس جزء من شخصية فتحى رضوان ، فهو شخص يفكر بشكل إيجابى ، ويسعى إلى أن يكون مؤثرًا فى المجتمع بكتاباته ، ولا يكتب لإظهار موهبته فى الكتابة أو سعيًا وراء الكسب المادى فحسب ، ولكنه يريد أن يكتب من أجل هدف سام وهو إحداث تغيير للظواهر الفاسدة المضرة بالمجتمع ، كما عكس الحلم أيضًا باطن الشخصيةَ و خوالجها النفسية ؛ فنجد أن فتحى رضوان قد تكون داخله الشعور باليأس والإحباط نتيجة الصعوبة التى وجدها فى إصلاح المجتمع التى استمر فيه الفساد على مدى عصور متعددة ، وتغلغل فى نفوس العرب إلى الدرجة التى جعلته سمة لم يستطع كل من العلماء ، والنبهاء والمثقفين إزاحتها أو تغييرها ، ولكنه على الرغم من فشل هؤلاء فى الإصلاح فإنه يملك بصيصًا من الأمل ، ذلك الأمل جعله رغم بساطته يريد المحاولة لعله ينجح فيما فشل فيه السابقون .

وقد نجد أن الكاتب هنا قدم حلم اليقظة فى صورة المونولوج الداخلى المباشر ، وقد ظهر ذلك فى حوار فتحى رضوان مع نفسه ، وذلك دلالة على صعوبة تحقيق ذلك الحلم ، واقتناعه بتلك الصعوبة جعه لا يستطيع أن يبوح بحلمه لمن حوله من الأهل أو الأصدقاء ، ويفضل الاحتفاظ بحلمه داخل عقله الباطن .

وثمة نموذج آخر فى رواية " ليالى دبى ( شاى أخضر ) " استعان فيه الكاتب بحلم اليقظة من خلال شخصية " سهر " البنت السورية ، وحلمها بتغيير حياتها :

" لعبت سهر بخاتم الخطوبة فى يديها ... وخلعته ونظرت فى اسم منقذ .. بعد أسبوع الامتحانات وستسافر إلى هناك إلى منقذ وسيكون حفل زفاف وستغادر هذا المكان السجن .. الأماكن الفقيرة لا تمنح الناس إلا الأحلام الفقيرة .. والمدن الصغيرة والدول الصغيرة سكانها أحلامهم فقيرة مثلها "[٢]

نجد من خلال النص الروائى أن سهر الفتاة السورية الجميلة تحلم بالزواج مثل أى فتاة أخرى ، ولكنها تنظر إلى الزواج نظرة مختلفة غير النظرة التقليدية أو المعتادة التى تنظرها أى فتاة أخرى له من حيث الاستقرار وتكوين أسرة جميلة ، ولكن سهر أجمل بنات الجبل كما لقبها الكاتب فى روايته تعتبر زواجها من منقذ الذى يسكن فى دولة الإمارات بمثابة طوق النجاة لها ، والتى ظلت تنتظره سنوات لينتشلها من مدينتها ، لتسافر معه إلى مدينة دبى مدينة الأحلام بالنسبة لها ؛ فنجد أن السعادة التى تشعر بها سهر ، والتى جعلتها تحلم وتتخيل حفل زفافها ، و مستقبلها مع منقذ ليس حبًا فيه بل رغبة فى الهروب ، والفرار من بلدتها الفقيرة التى تعدها

---

[١] رواية : ليالى دبى الجزء الأول ( شاى بالياسمين ) ، ص ٣٢٢ .
[٢] رواية : ليالى دبى الجزء الثانى ( شاى أخضر) ، ص ٢٠٢ .

سجنًا يقيد أحلامها ، كما تفتقد قيمة العدل ، وحرقت شعبها بالظلم لتذهب إلى دبى حيث الحرية ، والأمان المادى والرفاهية ، والعدل كما يراها أغلب الشباب العرب ؛ فهى تتمنى أن يمر الوقت سريعًا ، وتنتهى من الامتحانات وتحقق حلمها ، وذلك لإزاحة هذا الواقع الذى فرض عليها لأنها ترى أنها تستحق العيش في واقع أفضل ، لذلك ترغب فى الحصول على هذا الواقع ، وإن كلفها ذلك الأمر أن تتزوج رجلًا لا تعرفه ولا تحبه ، فهذه الرغبة المسيطرة علي عقلها الباطن هى التى أدت إلى حلم يقظتها .

وقد ظهر حلم اليقظة أيضًا فى رواية " حتى يطمئن قلبى " عن طريق شخصية " فتحى رضوان " الذى هاجر من وطنه بحثًا عن أحلامه ، ولكننا نجده لا ينسى أمر وطنه ، ويحن إليه بين الحين والآخر ، كما سنرى فى النص التالى :

" أقود السيارة على شاطئ الخليج .. لست متأكدًا أنى كائن حى بين الحب والخرافة شئ خفى أوقفتنى سيارة الشرطة طلب رخصة السيارة ورخصة القيادة نظر الشرطى فيها وقال لى :
أنت صحفى ؟
نعم
أنتم واصلين ياصحافيين
لا والله
امال مين اللى واصل ؟
ما أدرى ؟
ضحك الشرطى ناولنى الهوية ورخصة القيادة وانطلقت إلى شارع الصحافة ..... وأظل أحلم بالحرية حتى تدق أبواب الوطن .. أيا لهفة الروح أن تعودى لنا يا بلادى النبيلة ... وأمضى نحو الحقيقة ويتبعنى ظلى وضحكات الأغبياء تلاحقنى وهم الغالبية العظمى من بنى وطنى .. "[١]

أظهر النص الروائى أن الصحفيين يعدوا جهة ذات سلطة فى دولة الإمارات ، وقد اتضح ذلك من خلال الحوار الذى دار بين الشرطى والصحفى " فتحى رضوان " على الطريق ، والذى دلّ على الهيبة التى يتمتع بها الصحفيون هناك ، تلك الهيبة هى التى جعلت الشرطى يترك فتحى رضوان يمر ويستكمل طريقه فى سلام عند علمه من خلال فحص هويته إنه يعمل بقطاع الصحافة، ذلك بعد أن استوقفه لبحث رخصته وهويته .

وبالنظر إلى النص السردى الذى أعقب الحوار نجد أن الموقف الذى تعرض له فتحى رضوان على الطريق جعل حلم الحرية الذى يظل يراوده طوال حياته يتردد على ذهنه فى تلك اللحظة متمنيًا تحرر وطنه – مصر – من كافة القيود التى تكبل الحريات ، وبخاصة حرية الفكر والقلم لأن هذه القيود من أهم الاسباب التى جعلته يترك وطنه وأهله ، ويذهب إلى الإمارات باحثًا عن الحرية التى تمكنه من التعبير عن أفكاره السياسية ، والاجتماعية دون أى مساءلة قانونية تحرمه من حرية قلمه .

فنجد أن الحلم هنا قد جاء موضحًا للمقارنة التى عقدها فتحى رضوان داخل ذهنه بين المعاملة السيئة التى وجدها كصحفى داخل وطنه ، من إهانه سواء على المستوى المادى أم على مستوى الاستهانة بكلمته وآرائه ، وترهيبه أحيانًا لإسكات صوته وقلمه ، وبين المكانة التى أصبح يتمتع بها كصحفىّ فى دولة الإمارات ، تلك المقارنة جعلته يُمنّى نفسه بأن يرى وطنه

---

[١] رواية : حتى يطمئن قلبى ، ص١٨٨ .

وهو يستظل تحت غطاء الحرية ، وقد نبعت تلك الأمنية من تلهف روحه على وطنه والاشتياق له ، ولكنه لا يستطع فى تلك الفترة التخلى عن المكانة التى وصل إليها فى الإمارات ليعود مرة أخرى إلى وطنه الذى لا يقدره .

وبالنظر فى النص الروائى نجد أن الحلم هنا يهدف إلى إزاحة واقع قمع الحريات بأشكاله المختلفة ، الذى عانى منه المصريون على مدار أعوام كثيرة ، وتمنى استبداله بواقع جديد أفضل تسودة الحرية .

وبالنظر إلى النصوص الروائية نجد أن أحلام اليقظة قد تمحورت حول فكرة إزاحة الواقع الردئ ، عن طريق الهروب منه بالهجرة من الوطن ، والذهاب إلى مكان أفضل تستطيع فيه الشخصية الحالمة تحقيق رغبتها فى بناء واقع جديد يتلاءم مع أحلامها وطموحاتها .

كما نجد أن الكاتب قد نوّع فى شكل تقديم حلم اليقظة داخل الروايات حيث يقدمه فى صورة السرد الحوارى تارة ، وتاره أخرى يعتمد فى تقديمه على المونولوج الداخلى للشخصية الحالمة ، وذلك التنويع الذى وظفه الكاتب فى رواياته يعتمد على الموقف الذى تواجهه الشخصية فى إطار الحدث الروائى .

الخاتمة :

نجح الكاتب فى توظيف الأحلام فى رواياته سواء الأحلام المنامية أم أحلام اليقظة التى ساعدته فى التعبير عن الرغبات اللاشعورية للشخصيات الحالمة، تلك الرغبات التى ظلت مقموعة داخل نفوسهم ، ممّا جعلهم يلجأون إلى الحلم كوسيلة تنفيسية يستطيعون من خلالها الإفصاح عن تلك الرغبات ، كما ساهمت الأحلام فى الكشف عن الأسرار المجهولة للشخصيات الروائية ، وعرضها من الداخل فى نومها حينًا وفى يقظتها آخر ، وجسدت الأفكار والمشاعر التى تشعر بها من حالات يأس وألم ، وعدم استقرار نفسى نتيجة المعاناة التى يشعرون بها بسبب التدهور السياسى والتمزق الاجتماعى ، والأزمات الاقتصادية المحيطة بهم فى واقعهم المعيش ، لذلك نجدهم يتوقون إلى عالم أفضل عن طريق الحلم .

وقد نجد أن الكاتب قد وظف ظاهرة الحلم فى رواياته بهدف إظهار حالة التمرد التى تمر بها شخصيات رواياته على الواقع المعيش ، والرغبة فى إزاحته وتجاوزه ، والخلاص منه عن طريق الحلم الذى يساهم فى رسم ملامح المستقبل المشرق الذى تتطلع إليه الشخصية الحالمة ، فهذه الإزاحة تعيد للشخصية الحالمة توازنها النفسى ، وتعطيها جرعة من التفاؤل تستطيع بها استكمال حياتها ، والتعايش مع الواقع لذلك نجد أن الأحلام قد ارتبطت بالتحولات التى طرأت على نفوس الشخصيات التى كانت تسعى دائمًا إلى الانتصار على الواقع ، أما من الناحية الفنية والبلاغية فقد ساعدت الأحلام على إثراء النص الروائى ، وإعطائه عمقًا دلاليًا عن طريق تشييد عوالم جديدة داخل نفوس الشخصية الحالمة تعتمد على الخيال تارة ، وعلى الذاكرة تارة أخرى ، وذلك ساعد الكاتب على الربط بين عالم الحلم وعالم الواقع .

قائمة المصادر والمراجع

أولًا : المصادر :

- روايات الكاتب " السيد حافظ "

١- رواية : مسافرون بلا هوية ، العربى للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧م .
٢- رواية : قهوة سادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١ ،٢٠١٢ م .
٣- رواية : ليالى دبى الجزء الأول ( شاى بالياسمين ) ، مركز الوطن العربى رؤيا ، ط١ ، ٢٠١٤م .
٤- رواية : ليالى دبى الجزء الثانى ( شاى أخضر) ، مركز الوطن العربى رؤيا ، ط١ ، ٢٠١٤م .
٥- رواية : كل من عليها خان ، مركز الوطن العربى رؤيا ، ط١ ، ٢٠١٥م.
٦- رواية : حتى يطمئن قلبى ، مركز الوطن العربى رؤيا ، ط١ ، ٢٠١٧ م.

ثانيًا : المراجع :

أ – المراجع العربية :

١- حسن البندارى (د) ، تقنية الحلم فى النص القصصى عند نجيب محفوظ ، مكتبة بورصة الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٧م .
٢- سيجموند فرويد ، تفسير الأحلام ، تبسيط وتلخيص / نظمى لوقا (د) ، دار الهلال ، ط١ ، ١٩٦٢م .
٣- مراد عبد الرحمن مبروك (د) ، الظواهر الفنية فى القصة القصيرة المعاصرة فى مصر ١٩٦٧ – ١٩٨٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩م .

ب – المراجع المترجمة :

١- إريش فروم ، الحكايات والأساطير والأحلام ، ت/ صلاح حاتم ، دار الحوار ، سوريا ، ط١ ، ١٩٩٠م .
٢- روبرت همفرى ، تيار الوعى فى الرواية الحديثة ، ت/ محمود ربيعى (د) ، دار غريب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

ثالثًا : المعاجم والقواميس :

١- ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الثانى عشر ، دار صادر ، بيروت ، د.ط ، د.ت .